جماليات سورة الحمد والنّقاط النّحوية التي فيها

هديه مسعودي صدر
عضو هيئة التدريس في قسم المعارف، جامعة شهيد چمران أهواز، أهواز، أيران
H.masoudisadr@scu.ac.ir

The aesthetics of Surat Al-Hamd and its grammatical points

Hadyeh mas'udi sadr
Instructor, Department of Islamic Studies, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahwaz, Iran

الملخص:-

سورة الحمد أوّل سورة في القرآن الكريم، أي إن فُاتحَة الكتاب تكون بهذه السّورة المباركة المشتملة على سبع آيات ولها مفاهيم توحيدية يجب الاهتمام بها والأخذ بها بعين الاعتبار. توجد في هذه السّورة بعض الجماليات كما فيها بعض المسائل النّحوية العديدة التي اختلف بعض اللغويين حولها وأتوا بآراء متنوّعة فيها. فمن الجدير بالذّكر أنّه توجَدُ الدقائق اللغوية، والتراكيب اللطيفة، والنظم البديعة التي اشتملت عليها سورة الفاتحة كثيرة، فهذه الأمور جديرة بالنظر والبحث والدراسة التفصيلية في مثل هذه المقالة. كتبَت هذه المقالة عبر المنهج الوصفي التحليلي واستفادت من الكتب المختلفة بعضها لغوية وبعضها الأخرى تفسيرية حول ما في هذه السّورة من الجماليات ومن النقاط النّحوية والسّبب في اختيار هذا الموضوع هو أنّ بعض النّاس يرون أنّ هذه السّورة مشتملة على قضية التوحيد ومالكية الله تعالى وكذلك طلب الإنسان لأن يهديه الله تعالى إلى سبيل الرّشد أي إلى الصّراط المستقيم. ولكن في هذه المقالة تمّ تبيين جماليات هذه السّورة من الناحية اللغوية والدّلالية نحو دلالة كلمة «الحمد» وأيضاً بعض الكلمات الأخرى نحو «رب»، و«الرّحمن»، «الرّحيم»، و «الصّراط» وأيضاً مواضع الحذف والتعلّق والتّقديم وكلّ ما يرتبط بعلم النّحو في هذه السّورة المباركة. فقمنا في هذه المقالة بتحليل المفردات أي الكلمات، والتّعابير والتراكيب، وكشفنا عما فيها من النقاط النّحوية والجمالية؛ إذ تظهر فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وبيانه بداية من اختيار الحروف والكلمات، ثم الجمل والنظم والتأليف. كلّ هذه المحاولات تجمع بين الدراسة اللغوية الدلالية والدراسة البيانية والنّحوية، مع الالتزام بها، بسبب ما فيها من اتّصال مباشر وغير قابل للانفصال للكشف عن جماليات القرآن وظرائفه اللغوية، البيانية، ولطائفه النّحوية، بالاعتماد على أقوال المفسرين واللغويين والبيانيين.

الكلمات المفتاحية: جماليات القرآن، الدّلالة، النقاط النّحوية، سورة الحمد.

Abstract:-

Surah Al-Hamd will be the first surah in the Holy Qur'an, meaning this book was opened with this blessed surah that includes seven verses and has monotheistic concepts that must be taken into consideration. There are some aesthetics in this surah, as well as many grammatical issues about which some linguists disagreed and gave various opinions on it. It is worth noting that there are many linguistic subtleties, pleasant structures, and wonderful rhymes that Surat Al-Fatihah included. These matters deserve consideration, research, and detailed study in such an article. This article was written using the descriptive analytical approach and benefited from various books, some of which are linguistic and others explanatory, about the aesthetics and grammatical points in this surah. God Almighty guides him to the path of righteousness, that is, to the straight path. However, in this article, the aesthetics of this surah have been clarified from the linguistic and semantic point of view, towards the meaning of the word "praise" and also some other words towards "Lord", "the Most Merciful", "the Most Compassionate", and "the path", as well as the places of deletion, attachment, introduction and everything related to the science of knowledge. Grammar in this blessed surah. So, in this article, we analyzed vocabulary, that is, words, expressions, and structures, and revealed their grammatical and aesthetic points. As the eloquence, eloquence, and statement of the Holy Qur'an appear, beginning with the choice of letters and words, then sentences, systems, and composition. All these attempts combine the semantic linguistic study with the graphic and grammatical studies, while adhering to them, because of their direct and inseparable connection to reveal the aesthetics of the Qur'an and its linguistic, graphic, and grammatical subtleties, depending on the sayings of the interpreters, linguists, and pianists.

Key words: Aesthetics of the Qur'an, semantics, grammatical points, Surat al-Hamd.

المقدّمة:ـ

إنّ الجمالية أو علم الجمال هو موضوع مشترك يُدرَسُ بين الأدب والفلسفة يعني يكون موضوعاً غير متعلّق بفرعٍ واحدٍ فحسب، والمراد منه الاهتمام بدراسة القضايا الجمالية في الأدب والفن من حيث ان هو واقع مجسّد من ناحية، وإدراك عقلي وشعوري من ناحية أخرى. في هذه المقالة بادرنا بدراسة سورة الحمد أي فاتحة الكتاب من منظور الجمالية ولذلك يجب ذكر بعض المعلومات حول هذه السّورة المباركة. إنّ سورة الفاتحة هي أوّل سورة جاءت في القرآن الكريم، ولها أسماء عديدة، وتمتاز بفضائل كثيرة دون غيرها من سائر السّور القرآنية. ولقد اختلف العلماء في تحديد مكان نزول هذه السورة؛ فقيل إنّها نزلت في مكّة، وقيل في المدينة المنورة، وقيل نزلت مرّتين مرّة في مكّة ومرة في المدينة؛ فلهذا السّبب سمّيت بسورة المثاني، ولكن القول الأرجح هو أنّها نزلَت بمكّة.، والدّليل على ذلك أنّ الآية وردت في سورة الحجر هي ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، والمقصود بالسّبع المثاني سورة الفاتحة. فاستدلّ بذلك على أنّ سورة الفاتحة سورةٌ مكيّة. إنّ قصة سورة الفاتحة أو سبب نزولها لعلها من الأمور المستورة عن غالبية النّاس، رغم أنّ هذه السورة تُعدُّ من السُّور المعروفة عند الجميع، لأن الله تعالى فرض على المُسلمين قراءتها في كلّ ركعة من ركعات الصّلاة وهذا شرط صحّتها. وكذلك أنّ آياتها تشمل معنى جميع آيات القرآن الكريم، ولو قُرِئَت بتدبّر لوُجِد بها حقًّا كلّ ما في القرآن الكريم من صفات الله تعالى، وقصص الأمم السّابقة. فنحن في هذه المقالة بادرنا بدراسة هذه السّورة من منظور الجمالية للكشف عن الجماليات وما في هذه السّورة من النقاط النّحوية المختلفة لبيان وجوه إعجازه أكثر من ذي قبل. في مجال أهمية هذا الموضوع علينا أن القول أنّه يتعلّق بالقرآن، بل بأمّ القرآن يعني سورة الفاتحه و يكشف عن المعاني الجليلة، والمطالب العالية في هذه السورة المباركة، كما تذكر بعض النقاط النّحوية الموجودة فيها.أيضاً تتلخص أهميته في أنّ الموضوع يتّصل بالقرآن الكريم اتصالا مستقيماً يبحث فيه، ويُظهِرُ بعض جمالياته ونقاطه النّحوية. وبعد كلّ هذه القضايا نريد الإجابة عن الأسئلة التّالية:

١. ما هي أهم مظاهر الجمالية في سورة الحمد؟

٢. أي النقاط النّحوية هي أكثر وضوحاً في هذه السّورة؟

٣. ما دور الجماليات والنقاط النّحوية في بيان معاني هذه السّورة؟

خلفية البحث

من أهم البحوث حول دراسة سورة الحمد يمكن الإشارة إلى ما يلي:

- «موضوعات قرآنية في ضوء سورة الفاتحة - دراسة موضوعية» لـ «عماد يعقوب حمتو» (٢٠٠٨م). استنتج الكاتب في هذا البحث أنّ كلمة الحمد في سورة الفاتحة فيها معانٍ عديدة، كما ذكر آثار الحمد والثّناء. كذلك ذكر أنواع التّوحيد وعزّز مفهوم العبادة والاستعانة القائمة على الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وكذلك بيّن مفهوم الهداية إلى الصّراط المستقيم وذلك مع بيان مفهوم الاستقامة.
- البلاغة في سورة الفاتحة (دراسة تحليلية بلاغية)، لـ «محمّد سبحان يحي» (٢٠١٠م). بادر الباحث بدراسة بلاغية حول سورة الحمد وأهمّ النتائج التي وصل إليها هي أنّه تتكون سورة الفاتحة من حيث الكلام، من قسمين و هو عبارة عن الكلام الخبري و الكلام الإنشائي، و من جهة التقييد تنقسم هذه السورة المباركة على ثلاثة أقسام و هي التقييد بالنعت، التقييد بالعطف النسق، التقييد بالبدل.
- «الأمن الفكري وتحقيقه من خلال سورة الفاتحة» لـ «رحاب بابكر موسى أحمد» (٢٠٢٠). أهمّ نتائج هذا البحث هو أنّه اشتملت سورة الفاتحة على معان القرآن العظيم، فبالتدبر في معانيها وفهمها يمكن تأصيل العقيدة في النفوس والتحصين من الشرور وحماية الفكر من المناهج الضالة حيث أن اختلال العقائد والمفاهيم الصحيحة للإاسلام، يسهم بصورة كبيرة في إيجاد االضطرابات المتعلقة بالألمن الفكري الناتج عن خلل في فهم حقائق الاسلام ومقاصده.
- «بحث عن سورة الفاتحة» لـ «مريم أنس» (٢٠٢١م). تناولت الباحثة في هذا البحث دلائل إعجاز سورة الحمد وميزاتها البلاغية العديدة، و كذلك أسرار نظم الآيات و وجوه بلاغتها، كما بيّنت الباحثةُ اشتمال هذه السّورة على أصول معان القرآن الكريم فهذه السّورة أصبحت جديرة بأن تسمى أم القرآن.
- كما لاحظنا في هذه السّطور أنه لم يتطرّق هؤلاء الباحثون إلى دراسة جماليات

سورة الحمد والنقاط النّحوية المذكورة فيها؛ فلذلك يكون بحثنا هذا جديداً وجديراً بالاهتمام.

لمحة عن سورة الحمد:

سورة فاتحة الكتاب ولها ثلاثة أسماء معروفة منها «فاتحةُ الكتاب، وأمُّ القرآن، والسَّبع المثاني. سُمّيَت فاتحة الكتاب: لأنَّ الله بها افتتَح القرآن. وسمّيَت أمُّ القرآن وأمُّ الكتاب: لأنّها أصل القرآن منها بُدئَ القرآن وأمُّ الشّيء بمعنى أصلُه، ويقال لمكة أمُّ القرى لأنّها أصلُ البلاد دُحيَت الأرض من تحتها، وقيل: لأنّها مقدَّمةٌ وإمامٌ لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في المُصحف وبقراءتها في الصَّلاة، والسَّبع المثاني لأنّها سبع آياتٍ باتّفاق العلماء. وسمّيت مَثاني لأنّها تثنّى في الصّلاة، فيقرأ النّاس هذه السّورة في كل ركعة، وقيل أنّها سميّت مثاني؛ لأنّ الله تعالى استثناها لهذه الأمة فذخرها لهم» (البغوي، ١٩٩٧: ٥). وهو قول أكثر المفسّرين للقرآن الكريم، وقيل «مدينة وجمع بعض المفسّرين بين القولين فقال نُزلت مرّتين، مرّةً بمكةَ حين فُرضت الصلاةُ، ومرّةً بالمدينةِ حين حُوِّلت القبلة، ولذلك سمّيت مثانىَ وقيل: نُزِل نصفُها بمكة ونصفُها بالمدينة، والأول هو الصحيح. وسميت فاتحة لأنها مفتاحُ الكتاب العزيز، و هذا اسمٌ من جملة عشرين اسماً، ثانيها: فاتحةُ الكتاب، ثالثها: أمُّ القرآن؛ لأنه مفتتح بها فكأنّها أصله وأساسه، ورابعها: سورة الكتر لأنها نُزلَت من كتر تحت العرش، خامسُها: الكافية، سادسُها: الوافية لأنا وافيةٌ كافيةٌ في صحَّة الصّلاة عن غيرها عند القدرة عليها، سابعُها: الشّافيه، ثامنُها: الشّفاء لما وُرد: هي شفاءٌ من كلِّ داء، تاسعُها: السَّبع المثانى لأنّه سبع آياتٍ على الصّحيح، سواءً قُلنا إنّ البسملةَ منها أولاً، عاشرُها: النّور، الحادى عشر: الرّقية، الثاني عشر: سورة الحَد والشّكر، الثّالث عشر: الدُّعاء، الرّابع عشر تعليمُ المسألة لا شتمالها على ذلك، الخامسُ عشر: سورة المناجاة، السّادس عشر: سورة التَّفويض، السّابع عشر: سورةُ السؤال، الثامن عشر: سورةُ أمّ الكتاب، التّاسع عشر: فاتحة القرآن، العشرون: الصلاة لخبرٍ قُسمت الصّلاةُ بيني و بين عبدى نصفين، فنصفُها لي ونصفُها لعبدى، ولعبدى: ما سَأل» (السيوطي، ١٩٩١: ١٣).

ما هي الجمالية؟

«الجمالية علمٌ يدرس كلّ ما يتعلّق بالجمال في الطبيعة والفنّ والأدب من حيث هو

واقع موضوعي وإحساس ذاتي. يبرز البُعد الجمالي للغة والأدب من خلال التصور الأسلوبي لها باعتبارها فنّاً تعبيرياً يبلغ ذروته الجمالية في العمل الأدبي. يبرز البُعد الجمالي في كلّ الأجناس الأدبية دون استثناء ويختلف حضوره - كمّاً وكيفاً - من جنسٍ إلى آخر ومن نصٍّ إلى آخر حتى لدي المبدع الواحد، مع مراعاة النسبية في التقدير النّقدي لذلك كلّه. النص أو الخطاب هو الفضاء الطبيعي والأساسي للحضور الجمالي، بيد أنّ الرؤية المتكاملة لظاهرة الجمالية في العمل الأدبي تقتضي عدم إغفال بُعدين آخرين لها؛ هما المُبدع بوصفه الذّات الصّانعة للجمال، والقارئ بوصفه الذّات المتلقّية له» (بن عمر، ٢٠١٦م: ٧٩)؛ فعلي هذا الأساس يمكن دراسة سورة الحمد من منظور الجمالية لأنها نصٌّ كاملٌ جديرٌ بالبحث والمناقشة من هذا المنظور.

جماليات سورة الحمد:

نتطرّق فيما يلي إلى مظاهر الجمالية في سورة الحمد وبعد ذلك ندرس النقاط النّحوية فيها.

دلالة اسم جلالة «الله»

جاءت حول دلالة كلمة «الله» آراء عديدة منها واختلف علماء اللغة في اشتقاق هذه الكلمة على أقوال كثيرة. فقال الفيروزآبادي: «واختلف فيه - يعني: لفظ الجلالة - على عشرين قولا» (فيروز آبادي، ٢٠٠٧: ١٢٥٠).

هناك أقول أخرى في هذه الكلمة وها هي: «القول الأوّل: إنّ أصله "إله، " ثم دخلت الألف واللام عليه فصار "الإله، " ثم حذفت الهمزة وأدغمت اللام في اللام فصار «الله». فالألف واللام عوضٌ عن الهمزة» (سيبويه، لاتا: ١٩٧ - ١٩٦). القول الثّاني: «إنّ أصله "لا َه" على وزن فَعَل، مثل ضَرَبَ، ثم دَخَلت عليه الألف واللام تعظيماً لله تعالى وإبانةً له عَن كلِّ مخلوقٍ، فهو اسم وإن كان فيه معنى فِعل. وقرأ ابن عباس«يذرك وإلاهتك» (الأندلسي، ١٩٩٢م: ٤/ ٤٦٥، ابن جنّي، ١٩٨٦: ٢/ ٢٥٦) والمراد منه: وعبادَتك؛ إذ إنّهم عبدوا فرعون وبهذا السّبب استخدم هذه الكلمة لهم.

القول الثّالث: «إنّ أصل هذه الكلمة "ولاه"، فأبدلت الواوُ همزةً، فصارت "إله"، وهو مشتقٌ من «الوَلَه» بمعنى الحب والاشتياق الشّديد» (الفيروز آبادي، ٢٠٠٧: ١٥/ ٤٠٠)؛ إذ إنّ

قلوب العباد تشتاق إلى الله تعالى كثيراً.

إذا تأمّلنا في هذه المعاني نفهم أنّ كلّ صفات الله تعالى موجودةٌ في هذه الكلمة.

هذا الاسم، اسمٌ كاملٌ وجامعٌ حقّاً يشتمل على علم الله وقدرته وجلالته وسائر صفاته.

القول الرّابع: «ذهب جماعة من أهل العربية والفقهاء - منهم الإمام أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن، والإمام الشافعي رحمهم الله - إلى أنّه عَلَمٌ غيرُ مشتقٍّ، ولا يجوز حذفُ الألف واللام عنه، كما يَجوز من الرّحمن والرّحيم، وإليه ذهب الخليل، والفيروزآبادي» (السّخاوي، ١٩٩٥: ١/ ١٥، القرطبي، ٢٠٠٦: ١/١٥٩).

الرّحمن الرّحيم

هناك أقوال عديدة حول كلمة الرّحمن؛ منها أنّ هذه الكلمة جاءت على وزن «فَعْلان من الرّحمة. وصيغة فَعْلان تُفيدُ الدّلالة على الحدوث والتجدد، وذلك نحو عطشان وجُوعان، كما تفيد أيضاً الامتلاء بالوصف، فيقولون: غَضبان لِمَن امتلأ غَضَباً، وسَكران لِمَن امتلأ سُكراً» (السّامرائي، ٢٠٠٧: ٨٢ - ٨١). وقال البعض الآخرون أنّ «الرحمن عَلَمٌ وصفة، وهي من الأعلام الخاصة بالله، فلا يجوزُ لأحد أن يسمى نفسَه بالرّحمن، فهو في هذا الباب كلفظ الجلالة، بخلاف الصّفات الأخرى كالرّحيم والكريم وغير ذلك، فإنّه لا بأس بالتّسمّي بها، وشتّان بين الموصوفين» (ابن القيم، ١٤٢٧: ١/ ٤٢). وقيل أنّ «الرّحيم فَعيلٌ من الرّحمة. وصيغةُ فعيل تدلُّ على الثُّبوت في الصفة، نحو طويل وجميل، كما تُفيدُ التّحول في الوصف إلى ما يَقرُبُ من الثّبوت، نحو خطيب وبليغ وكريم» (السّامرائي، ٢٠٠٧: ٥٣ - ٥٤). ففي هذا المجال يمكن أن نُذلي بهذا الرّأي أنّه «جاء بالوصفين للدّلالة على أنّ هذه الصفة ثابتةٌ فيه ومتجددة، وأفاد بالجمع بين الوصفين ما لم يُفده عدمه. فلو وصف نفسه بأنّه رحمنٌ فقط لوَقع في النفس أنّ هذا الوصفَ غيرُ ثابت، كالغَضبان والعَطشان، والواقعُ ليس كذلك؛ فإنّه يَغضب ولكنّه رَحيمٌ بعباده، ورحمتُه وَسِعَت كلَّ شَيءٍ، بل غضبُه أيضاً مقرونٌ برحمته» (وسيم خان، ٢٠٢٠: ١٩٩). وفي موضع آخر نرى أنّه «لو وصف نفسه بالرحيم فقط لوقع في النفس أنّ هذا وصفُه الثابتُ، والواقعُ أنّه قد يأتي وقتَ لا يَرحَمُ فيه، كالكريم قد لا يَكرِم، والخطيب قد لا يَخطِب» (السّامرائي، ٢٠٠٧:

٣٤). وبما أنّ الله تعالى له صفة الرّحمة وهي صفةٌ ثابتةٌ، فهو موصوف بهذه الصّفة في كلّ الأحوال والأزمنة.

قال بعض اللغويين أنّ «هاتين الصفتين أي الرّحمن والرّحيم- وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحُسنى، مشتقّان من الرّحمة على وجه المبالغة، والرّحمن أشدُّ لأنَّه مبالغةٌ من الرّحيم؛ فعلي هذا الأساس إنّ الرّحمن هو ذو الرّحمة الشّاملة لجميع الخَلائق في الدّنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرّحيم هو ذو الرّحمة للمؤمنين يومَ القيامة. وهذا قولُ أكثر العلماء» (الشّنقيطي، ١٤٢٦: ١/ ٤٨).

الحمد

هناك آراء مختلفة لهذه الكلمة أيضاً: «أولاً: في مجال دلالة (أل) في «الحمد» يجب القول أنّ الألف واللام في الحمد لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق، أي: جميع أنواع الحمد لله تعالى، أو للعهد، أي: الحمد المعهود بين الناس لله تعالى» (الطبري، لاتا: ١/ ١٣٩، الشّوكاني، ١٩٩٩: ١/ ١٩).

ثانياً: في مجال دلالة كلمة «الحمد» والفرق بينها وبين المدح يجب القول أنّ «الحَمْد نقيضُ الذَّم (الأزهري، لاتا: ٤/ ٤٣٤) وهو الثّناءُ على الجميل من نعمة أو غيرها مع المَحَبّة والإجلال» (الزمخشري، ٢٠٠١: ١/ ٥٢)، وهو أكثر دقّة وأدقّ دلالةً على الشّكر والمدح.

فأمّا في مجال دلالة المدح يجب القول أنّ «الحمد لا يكون إلا للحيِّ العاقل، بخلاف المدح فقد يكون للحيّ العاقل وقد يكون للحيّ غير العاقل، كما يكون للجَمادات أحيانا، فقد تَمدَحُ إنساناً، وقد تَمدَحُ حيواناً، وقد تَمدَحُ جَماداً، ويستحيل أن تَحمدَها» (الرّازي، ٢٠٠٤: ١/ ١٧٨)؛ فعلي هذا الأساس يدلّ «"الحمدُ للّه" على أنّ الله تعالى حيٌّ، له الصفاتُ العليا، والأفعالُ الجميلة يُحمَدُ عليها. ولو قال: "المدح لله" لم يُفِد شيئاً من ذلك. فالحمدُ أخصُّ من المَدح، وضدُّه الذّم، بخلاف المَدح إذ ضدُّه الهجاء» (الأزهري، لاتا: ٤/ ٤٣٤). وأيضاً «فإنّ في الحَمد من التعظيم والفَخامة ما ليس في المدح» (الآلوسي، ١٩٩٩: ١/ ٩٥). وكذلك فإنّ الإنسان يمدح بعد الإحسان و قبله ولكن لا يحمد إلّا بعد الإحسان؛ فعلي هذا الأساس يمكن القول أنّ الحمد محصول المحاسن والفضائل وهو أخصّ من المدح، ولكن

المدح لا يستلزم الإحسان والفضيلة، بل يمكن أن يمدح الإنسانُ الآخرينَ دون إحسانٍ من جانبهم. إحدى الفروق الأخرى بين الحمد والشكر هو أنّ «الشكر فإنّ الحمد قد يكون لصنيعة جميلةٍ حَصَلت لك، وقد يكون ابتداءً لما هو حاصلٌ من المَحمود لغيرك أو ثابتٌ فيه من الصِّفات العليا، والشكر لا يكون إلا ثناءً ليد أوليتَها» (الرّازي، ٢٠٠٤: ١/ ١٧٩). فالشكر خاص بالنعمة، ولكن الحمد شاملٌ وعامٌّ ويشمل الجميع. فعلي هذا الأساس «يكون اختيارُ الحمدِ أولى أيضاً من الشُكر؛ لأنه أعم؛ إذ تُثني على الله تعالى لنعمه الواصلة إليك، وإلى الخلق أجمعين، كما تُثني عليه صفاته العليا الذاتية، وإن لم يَتعلَّق شيءٌ منها بك» (السّامرائي، ٢٠٠٧: ١٣). فالشّكر يقع بواسطة اللسان وسائر الجوارح ولكن الحمد يقع بواسطة اللّسان فحسب. «ولما كان المقصودُ هو الثاني مراعاةً للسياق وفضَّلَه هنا على الشُكر، كما أنّ الشُكر فضَّلَه على الحمد في آيات أخرى كثيرة؛ لأنّ السياق اقتضي هذه الدّلالة» (الزمخشري، ٢٠٠١: ١/ ٥٢). كذلك قيل «أنّ اختيار كلمة الحمد هنا كان أولى من كلمة المَدح والشُكر. واللام الجارة في «الله» للاستحقاق» (الأنصاري، ٢٠٠٥: ٢٠٥)؛ أي: يستحقّه الله تعالى، وليست هذا اللامُ للدلالة على الاختصاص والملكية أبداً.

ربّ العالمين

في مجال هذه الكلمة «قيل أنّ الراء والباء يدل على أصول. فالأوّلُ لإصلاحِ الشّيء والقيام عليه. فالرّب بمعنى المالك، والخالق، والصّاحب. والرّب المصلح للشيء. كما يقال: ربَّ فلانٌ ضيعتَهُ، إذا أقام على إصلاحها» (ابن فارس، ١٩٩١: ٢/ ٣٨١). وكذلك «الرّب بمعنى المالك، والسيد، والمربي، والقيّم، والمنعم. فكلمة الرب إذا أطلقت انصرفت إلى الله تعالى، وإذا أريد بها غيره أضيفت إليه غالباً، فقيل مثلاً: ربّ البيت، وربّ الدّابة» (ابن منظور، ١٩٩٩: ٥/ ٩٥). فهذا هو ما جاء حول دلالة كلمة «رب» في هذا التّعبير القرآني. ولكن كلمة «العالمين جمعُ العالَم، وهو كلُّ موجود سوى الله تعالى. ويُجمَع على العالمين للعُقلاء أو لما غَلَبَ فيه العقلاءُ» (البيضاوي، ٢٠٠٦: ٨). ودون اي شك يمكن القول أنّ الله تعالى هو ربّ العالمين ومالكهم ومدبّرهم وهو الذي يربّيهم وينعم عليهم، وإنّ اختيار كلمة «رب» في هذه الآية هو أحسن اختيار للدّلالة على المعنى المراد يعني التّدبير، والتّربية، والمالكية، والرّازقية وغير ذلك من الصّفات التي يليق بالله تعالى. وقد أيّد بعض المفسرين هذه الدّلالة حيث قالوا «دخل تحتَ قوله "ربّ العالمين" كثيرٌ من صفات الله تعالى كالعَليم،

والسَّميع، والبَصير، والقَيّوم، والمُريد، والمَلك، وما أشبه ذلك؛ لأنّ كلَّ واحد من هذه الأسماء والصّفات يَطلُبُ ما يَقَعُ عليه» (الآلوسي، ١٩٩٩: ١/ ١٠٨). «كذلك فإنّ في كلمة الرب دلالة على أنّ جميعَ العالمين مفتقرٌ إليه افتقاراً تامّاً، في حال حدوثِها وبقائِها، كما يَفتَقرُ المربوبُ إلى ربّه» (الرّازي، ٢٠٠٤: ١/ ١٨٧).

مالك يوم الدّين

في بداية الأمر نتطرّق إلى كلمة الدّين وهو «مشتقٌّ من دانَ يَدينُ، قال ابن فارس: الدّال والياء والنونُ أصلٌ واحدٌ إليه يَرجعُ فروعُه كلُّها. وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. وسمّي يوم القيامة بيوم الدين، أي: يوم الجزاء والحساب، لما فيه من مَظاهر الانقياد والذُّل. والله تعالى، ومالكٌ لجميع الأشياءِ في جميع الأوقات، إلّا أنّه خصّص ذلك هنا بيوم الدّين لمعنى لطيف؛ وذلك لأنّ المُلْك والمِلْك الحاصلين في الدّنيا لبعض الناس بحسب الظّواهر يزولان، وينسلخُ الخلقُ عنهما انسلاخاً تامّاً ظاهراً واضحاً في الآخرة. كما أنّ في إضافة الملك إلى اليوم مع أنّ اليوم لا يُملَك، بل يُملَك ما فيه يوجدُ معنى لطيفٌ أيضاً، وهو أنّ ذلك يُفيدُ العمومَ، فمالكُ اليوم مالكٌ لكلِّ ما اشتَمَلَ عليه من أمورٍ مادية ومعنوية، فملكيةُ اليوم هي مِلكيةٌ لكلِّ ما يَجري ويَحدُثُ في ذلك اليوم، ولكلِّ ما في ذلك اليوم، ولكلِّ مَن في ذلك اليوم، فهي إضافةٌ دقيقةٌ في مكانها لا تَقومُ مقامَها إضافة» (السّامرائي، ٢٠٠٧: ٣٩). في مجال "يوم الدّين" أيضاً آراء عديدة وهناك للتعبير «بـ «يوم الدّين» دون «يوم القيامة» فيه من المعاني والإيحاءات التي لا توجد في غيرها: فإن الدّين بمعنى الجزاء يشمُلُ جميعَ أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السّرمد الدّائم، بل يكاد يتناول النشأة الأولى بأسرها على أنّ يوم القيامة لا يدرك منه الجزاء مثل يوم الدين» (الآلوسي، ١٩٩٩: ١/ ١١٥)، فيوجد فرقٌ بين «يوم القيامة» و«يوم الدّين» كما قُلنا. وقيل أيضاً في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ «فإن الجزاء يتناول جميع أحوال الآخرة إلى السرمد» (الجرجاني لاتا: ١/١٤٥). فذلك اليوم هو يوم الدين كلّه، فهو يومُ الحساب، وهو يومُ الجزاء، وهو يومُ الطاعة والخضوع لله، وهو يوم يعزّ فيه أهلُ الطاعة، ويقهر ويذل فيه أهلُ المعصية، إلى غير ذلك من المعاني التي تؤديها كلمة الدين، ولا تؤديها كلمة القيامة» (السّامرائي، ٢٠٠٧: ٣٨).

وكذلك للدين معانٍ عديدةٍ الاستعمال «فيها كالطاعة والشريعة، فتذهب نفسُ السامع

إلى كلّ مذهبٍ سائغٍ، وقد قال بكلّ هذين المعنيين بعض، والمعنى حينئذ على تقديرِ مضاف، فعلى الأول يومُ الجزاء الكائنُ للدين، وعلى الثاني يوم الجزاء الثابتُ في الدّين. وإذا أُريد بالطّاعة في الأول الانقياد المطلق لظهوره ذلك اليوم ظاهرا وباطنا، وجعل إضافة "يوم" للدين في الثاني لما بينهما من الملابسة باعتبار الجزاء؛ لم يحتج إلى تقدير» (الآلوسي، ١٩٩٩: ١/١١٥). وهذه المعاني العديدة تدلّ على وجوه الجمالية في دلالات ألفاظ القرآن الكريم.

وهناك رأي آخر وهو «أنّ قوله «يوم الدّين» له نسبة قريبةٌ من قوله «ربّ العالمين» وذلك لاشتمال العالمين يوم القيامة على المكلفين ولا بد، وأكثر تلاؤماً مع أصناف المكلفين التي ذكرتهم السورة من المنعَم عليهم، والمغضوب عليهم والضالين؛ «لأن من معنى "الدين" الجزاء والحساب والطاعة والقهر، وهذه كلها إنما تكون لهؤلاء، فهو أنسب من يوم القيامة الذي لا يفهم من معناه اللغوي ما يفهم من يوم الدّين» (السّامرائي، ٢٠٠٧: ٣٩). قيل أنّ «في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونِها ومقتضاها ما يدلّ على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ربّ محمود، ورحمن محمود، و ملك محمود» (الصّالحي، لاتا: ١/ ٦٢).

إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين

في بداية الأمر نتطرّق إلى معنى العبادة وهي «في اللغة التذلل والخضوع، وهو مشتق من «عَبَدَ يعبُدُ» قال ابن فارس: العين والباء والدال أصلان صحيحان كأنّهما متضادّان، والأوّل منهما يدلّ على لين وذُلّ، والآخر على شدّةٍ وغِلظ» (ابن فارس، ١٩٩١: ٤/ ٢٠٥).

وفي مصطلح علماء اللغة إن هذه الكلمة «اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبّه الله تعالى ويَرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. وهي ملازمةٌ للحُبّ والتذلّل والخضوع. فعبادةُ الله تستلزمُ الحبَّ مع التذلل والخضوع. قيل أنّ العبادة تجمع أصلين: غايةَ الحب بغايةِ الذّل والخضوع. والعرب تقول "طريق معبد" أي: مذلّل، والتعبُّد بمعنى التذلل والخضوع. فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبةٍ لم تكن عابداً له حتّى تكون محبّاً له» (ابن قيّم الجوزية، ١٤٢٧: ١/ ٤٣). وكذلك كلمة الاستعانة «مشتقٌ من العون، وهي من الاستفعال، ومن معاني الاستفعال المشهورةِ السؤالُ لطّلب» (الأندلسي،

١٩٩٨: ١/ ١٧٩). «فهي بمعنى طلب العون والنصر، وهي ملازمة للثقة والاعتماد. قيل والاستعانة تجمع أصلين: الثقةَ بالله، والاعتمادَ عليه، فإنّ العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يَعتمدُ عليه في أموره مع ثقتِه به؛ لاستغنائه عنه. وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به؛ لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنّه غير واثق به. وقد قرنت العبادة بالاستعانة ليدلّ على أنّ الإنسان لا يستطيع أن يقومَ بعبادة الله تعالى إلّا بالاستعانة به عليها، فهم عاجزونَ عن أدائها الصّحيح والقيام بها على الوجه المطلوب إلا بتوفيقه ونصرته. كما جَمعَ بينهما ليَجمَعَ بين ما يتقرَّبُ به العباد إلى ربّهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته» (الزمخشري، ٢٠٠١: ١/ ٥٧). وإنّ التوكّل معنى «يلتئم من أصلين؛ من الثقة، والاعتماد، وهو حقيقة "إيّاك نعبد وإيّاك نستعين" وهذان الأصلان وهما التوكل والعبادة، قد ذكرا في القرآن الكريم في عدة مواضع قرن بينهما فيها» (ابن قيّم الجوزية، ١٤٢٧: ١/ ٤٤).

وعلى هذا فقد أفادت الآية أ من شأن المؤمن أن لا يعبد إلا الله، ولا يستعين إلا به، فجميع أنواع عبادته من الصلاة والزكاة والصيام والحج والذبح والنذر وغير ذلك خاضعة لله، خالصة له ابتغاء لوجهه ومرضاته، وهذا تجريد توحيد الألوهية. كما من شأنه أيضا أن لا تكون الاستعانة بمختلف أصنافها في شؤونه المتنوعة من طلب الأمور المعنوية والمادية إلا به، وهذا تجريد توحيد الربوبية. فجمع بين الألوهية والربوبية أحسن جمع، وصرفهما لله تعالى وحده. ولو عبر بغير كلمة العبادة والاستعانة لما أدّى هذا المفهوم الشامل كما هو واضح: فالعبادة شملت جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة يحبها الله ويرضاها، والاستعانة شملت جميع أنواع ما يحتاج إليه العبد في تحصيله من نصرة ومعاونة ومساعدة (وسيم خان، ٢٠٢٠: ٢٠٨).

اهدِنا الصّراط المستقيم

إنّ مفهوم الهداية تأتي لعدة معان، منها «الإرشاد والتوجيه والتبيين والدّلالة والإلهام والتوفيق» (ابن منظور، ١٩٩٩: ٦٠) إن العبد مفتقرٌ إلى الهداية في كل نَفسٍ وفي جَميع ما يأتيه ويذره، أصلا وتفصيلاً وتثبيتاً، ومفتقرٌ إلى مزيد العلم بالهدى على الدّوام، (ابن القيّم، ١٤٢٧: ٢/ ٤٥٠). فيكون معنى "اهدِنا الصّراط المستقيم" «عرفنا الطريق الحق، وردنا

إليه ردّاً جميلاً إذا ما ضللنا أو انحرفنا، وثَبِّتنا على الهدى وزِدنا هدى» (ابن كثير، ٢٠٠٢: ١/ ٤١). قيل أنّه «إذا عرفت هذا ففعل الهداية متى عدّي بـ "إلى" تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتي بحرف الغاية، ومتى عدّي باللام تضمن التّخصيص بالشيء المطلوب، فأتي باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديتُه لكذا، فهم معنى: ذكرتُه له، وهيأتُه، ونحو هذا. وإذا تعدّى بنفسه تضمّن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعريف والبيان والإلهام. فالقائل إذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم»، فهو طالب من الله أن يعرفه إياه، ويبينه له، ويلهمه إياه، ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرد الفعل من الحرف، وأتى به مجرّدا معدّى بنفسه؛ ليتضمن هذه المراتب كلها، ولو عدّي بحرف تعين معناه، وتخصص بحسب معنى الحرف، فتأمله! فإنه من دقائق اللغة وأسرارها» (ابن القيّم، ١٤٢٧: ٢/ ٤٢٥).

وأما كلمة "الصِّراط" «فهو مشتق من «سرطتُ الطّعامَ إذا بلعتَه»؛ لأنّه إذا سُرِطَ غابَ. واشتقاق الصّراط من ذلك لأنّ الذّاهب فيه يغيبُ غيبة الطّعام المستَرِط» (ابن منظور، ١٩٩٩: ٦/ ٢٤٠). وقيل «المشهور أنّه من صرطتُ الشيء أصرطه إذا بلعته بلعا سهلا، فسُمّيَ الطّريق صراطاً لأنه يسترط المارّةُ فيه. والصّراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقاً، مستقيماً، سهلاً، واسعاً موصلاً إلى المقصود، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطاً، ولا الصعب المشق، ولا المسدود غير الموصل، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك» (وسيم خان، ٢٠٢٠: ٢١١). ولذلك «فقد اختيرت هنا كلمة "الصّراط" دون كلمة "الطريق" أو كلمة "السبيل"؛ وذلك لأن "الصِّراط" على وزن "الفِعال"، وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال، فيشتمل على كلّ السالكين، ولا يضيق بهم؛ لرحبه وسَعَتِه» (ابن القيّم، ١٤٢٧: ٢/ ٤١٦٥).

بخلاف كلمة "الطريق"، فإنها "فعيل" بمعنى مفعول من "طرق" بمعنى "مطروق"، وكذلك "سبيل"، فهي أيضاً كأنّها "فعيل" بمعنى مفعول من أسبلت الطريق إذا كَثُرَت سابلتُها، والسابلة من الطرق المسلوكة، يقال: سبيل سابلة، أي مسلوكة (ابن منظور، ١٩٩٩: ٦: ١٦٢).

هذا مع المعاني والدلالات الأخرى التي تشتمل عليها كلمة "الصراط" دون كلمتي الطريق والسبيل. وعلى هذا فلا تدلان- أعني: كلمتي الطريق والسبيل- في صيغتهما على

المعاني التي تدل عليها كلمة «الصّراط»(ابن القيّم، ١٤٢٧: ٢/ ٤١٧).

وليس معناه أنه لا تُستخدم كلمة (السبيل) وكلمة (الطريق) للطريق الحق، بل ذلك كله تابع لاقتضاء الحال، فقد يكون استخدام كلمة في مكان أحسن بالموضع، وأوفى بالمراد، وأنسب بالسّياق دون مكان، وكل ذلك خاضع للسياق واقتضاء الحال. ومن الملاحظ أنّ "الصراط" جاء هنا مفردا معرّفاً بتعريفين: بالألف واللام والإضافة؛ وذلك للدلالة على أنه صراطٌ واحدٌ فليس ثمة صراطٌ آخرُ، وهو الصراطُ المعروفُ أي الصراطُ المستقيمُ وصراط الذين أنعم اللهُ عليهم من المؤمنين» (وسيم خان، ٢٠٢٠: ٢١٢).

وفي مجال جماليات الدّلالة في كلمة «المستقيم» يجب القول أنّه هناك معان عديدة لهذه الكلمة وها هي:

١. «أنّ المستقيم واحد، وما عداه معوّجة، وبعضُها يشبه بعضاً في الاعوجاج، فيشتبهُ الطريقُ على، أمّا المستقيمُ فلا يشابهه غيره، فكان أبعد عن الخوف والآفات، وأقرب إلى الأمان.

٢. الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود، والمعوج لا يوصل إليه.

٣. المستقيم لا يتغير، والمعوج يتغير» (الرّازي، ٢٠٠٤: ١/ ٢٠٨).

ثمّ «ميز اللهُ تعالى هذا الصراط وزاده بياناً وتوضيحاً بقوله "غير المغضوب عليهم ولا الضالّين". فهو غير صراط الذين غضب الله عليهم يعني اليهود، ولا الذين ضلوا يعني النصارى. فعرَّفه بأل والإضافة. ثمّ وَصَفَهُ بالمستقيم. والمستقيم اسمُ فاعلٍ من استقام، ومن معاني "استفعل" المطاوعة، وهو هنا مُطاوعُ أقمتُه فاستقامَ، أو قوّمتُه فاستقامَ» (الأندلسي، ١٩٩٨: ١/ ١٧٩).

وكذلك «المستقيم هو المعتدل المستوي الذي لا عِوَجَ فيه» (ابن عاشور، لاتا: ١/ ١٩١)، «فإذا كان الصراط متضمنا لمعنى الاستقامة- كما سبق قريبا- صار الوصف بها تأكيدا مزيدا لهذا المعنى، وتوضيحا أكثر له» (وسيم خان، ٢٠٢٠: ٢١٣). إذا دقّقنا نرى أنّ في كلمات «أنعمتَ»، «المغضوب» و«الضالّين» بعض دلالات لا نراها في الألفاظ المرادفة لها.

وفي تفصيل هذه الأقوال يجب القول أنّ «كلمة "أنعمتَ" فعل ماض، مشتقة من

الإنعام، والإنعام مادتها «نعم» والنون والعين والميم على كثرة فروعها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفّه وطيب عيش وصلاح، ومنه: النّعمة، وهي ما ينعم الله تعالى به على عبده من مال وعيش وطيب وصلاح في الحياة، يقال: للّه عليه نعمة. النّعمة بمعنى المنّة» (ابن فارس، ١٩٩١: ٥/ ٤٤٦).

ومن هذا المنطلق نرى أنّ «كلمة الإنعام شاملة لمعاني النعمة ومفهومها المختلفة المناسبة لأحوال الأنبياء والصّدّيقين والشهداء والصالحين بلفظها، وأكبر هذه النعمة نعمة الإسلام، وهداية الصراط المستقيم. فهي أنسب لهذا المقام وأليق به. ولو كانت مكانها كلمة الإكرام أو الإحسان أو الإفضال أو غيرها من مرادف الإنعام لما أدّت ما أدّتها كلمة الإنعام من المعاني، وما أوفت بالمراد. ثم كلمة الإنعام بادية منها النعمة لصلتها بها اشتقاقاً، وهي كلمة عامة تشمل جميع النعم المناسبة لحال المنعم عليه، فجمعت الكلمة بين الدلالتين: اللفظية والمعنوية» (وسيم خان، ٢٠٢٠: ٢١٤). كذلك فإنّ «الإنعام متضمّن للشكر بخلاف الإحسان وغيره الذي يجب وجوب الدين، وبالشكر تبقى النعمة وتدوم» (العسكري، ٢٠٠٠: ٢١٨).

وعلى هذا يتّضح أنّ «الإنعام هنا أوفى بالمراد، وأليق بالسياق؛ إذ فيه ذكر لإنعام الله على الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وطلب الصراط المستقيم الذي أنعم الله به على هؤلاء في جملة النعم المنعمة بها عليهم، فإذا حصل ذلك استوجب الشكر منهم؛ لأن الإنعام يستوجب الشكر. فجمعت السورة بين الحمد والشكر» (وسيم خان، ٢٠٢٠: ٢١٤).

في مجال كلمة "المغضوب" يجب القول «أنّها اسم مفعول، مشتقة من الغضب. قال ابن فارس: الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدّة وقوة. يقال: إنّ الغَضبة بمعنى الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اَشتُقّ الغضبُ؛ لأنه اشتداد السُّخط» (ابن فارس، ١٩٩١: ٤٢٨/٤). «فلمّا كان الأمر متعلقاً باليهود كانت كلمة الغضب أنسب لهم؛ لما فيها من شدة وقوة؛ وذلك لأنهم عرفوا الحق ثم جحدوا به وأنكروه. فإن قيل: لِمَ لم يُعبِّر هنا بكلمة "السخط" دون الغضب، والمعنى متقارب؟ قيل: إنّ الغضب يكون من الصغير على الكبير، ومن الكبير على الصغير، بخلاف السّخط فإنه يكون من الكبير على الصغير، يقال: سخط الأمير على الحاجب، ولا يقال سخط الحاجب على الأمير» (العسكري، ٢٠٠٠: ١٤٨).

«ومن السياق أدعى للغضب؛ لأن المغضوب عليهم غضب الله عليهم، وغضب عباده

الصالحون عليهم، ومن العباد من كان صغيرا غضب على الكبير، ومنهم من كان كبيراً غضب على الأصغر منه، فاشتملت على الجميع، بخلاف لو عبر بالسخط أو نحوه. ثم إن كلمة "الغضب" تدل على الشّدة والقوّة، وهي في نفسها شديدة لما اشتملت على الغين والضاد والباء، وكلها من الحروف المجهورة» (ابن جنّي، ١٩٩٣: ١/ ١١٩)، «بخلاف كلمة "السخط" فهي أقل درجة من الغضب، وهي في نفسها أضعف من السخط لاشتمالها على السين والخاء، وهما من الحروف المهموسة، وليس فيها من الحروف المجهورة إلا الطاء» (نفس المصدر، ١/ ١٨٣)، فكلمة الغضب هي أنسب لهذا المقام وأليق به. «والغضب الذي يوصف به الله تعالى هو الغضب الذي تقتضيه الشجاعة، وتوجبه الحكمة» (العسكري، ٢٠٠٠: ١٤٩) وجيء بهذه الصفة لله تعالى إذ يليق بجلاله.

وكذلك كلمة «الضّالّين» فإنها مشتقة من الضلال. قيل أنّ: «الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه.... ومما يدلّ على أنه اصل ما ذكرناه قولهم «أُضِلَّ الميّتُ: إذا دُفِنَ، وكذا كأنّه شيئٌ قد ضاعَ» (ابن فارس، ١٩٩١: ٣/ ٣٥٦). فإنّ هذه الكلمة أيضاً جاءت في أحسن موضعٍ إذ تصفُ الذين ابتعدوا عن الصّراط المستقيم وضاعوا وهلكوا. «فإن قيل لِمَ لم يعبِّر بكلمة «الغَي» دون الضلال، والمعنى متقارب؟ قيل: إنّ أصل الغي الفساد، وأصل الضلال الهلاك» (العسكري، ٢٠٠٠: ٢٤٠). فكأنّ في كلمة "الضالّين" إشارة إلى هلاك النّصاري والذين شايعوهم وضلّو معهم وهلكوا جميعاً.

النقاط النحوية في سورة الحمد:

في هذا المجال نقوم بالتحليل النحوي لسورة الحمد وبيان النّقاط النّحوية فيها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

«لقد اتفق النحاة على أن "بِسْمِ الله" بعض جملة ولكنهم اختلفوا في التّقدير، فقال البصريون: الجملة اسمية أي: ابتدائية باسم الله، وقال الكوفيون: الجملة فعلية وموضعها نصب، أي: بدأت ووافقهم الزمخشري في تقدير الجملة الفعلية، ولكن خالفهم في موضعين: أحدهما: أنّهم يقدّرون الفعل مقدما، وهو يقدره مؤخراً، فالباء عنده تتعلق بمحذوف تقديره: بسم الله أقرا أو اتلو، لأن الذي يتلو التسمية مقروء، كما أن المسافر إذا حلّ أو

ارتحل، فقال بسم الله والبركات، كان المعنى: بسم الله أحل وباسم الله ارتحل، وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله» (الزمخشري، ٢٠٠١:١٠٠). والبعض الآخر يقولون «أنّهم يُقدرونه فعل البداية، وهو يقدره في كل موضع بحسبه، فإذا قال الذابح: بسم الله، كان التقدير: بسم الله أذبح، وإذا قال القارئ: بسم الله، فالتقدير: بسم الله أقرأ. وذكر ابن حمدون في حاشيته أن "الباء" طُوِّلت في "بِسْمِ الله" للتفخيم والتعظيم لأنها مبتدأ كتاب الله العظيم» (ابن حمدون، ٢٠٠٨: ٧). وقيل أيضاً «إنْ سأل سائل فقال: لِم كُسرت الباء في "بِسْمِ الله"؟ فالجواب في ذلك أنهم لما وجدوا الباء حرفاً واحداً وعملُها الجرّ ألزموها حركة عملها» (ابن خالويه، لاتا: ١٦) «وأجمع القُرّاء وكُتّاب المصاحف على «حذف الألف من "بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ" في فواتح الكتاب وإثباتهم الألف في قوله "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ"» (الفرّاء، لاتا: ٦ - ٥). وكلمة "الله" عَلَمٌ لا يطلق إلاّ على المعبود وهو مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وقيل مشتق ومادته (لام- ياء- هاء)من لاه يليه، أي ارتفع، وقيل من (لام- واو- هاء) من لاه يلوه لوها، أي احتجب أو استتر، وأصله على الأول: (لي ه)- بفتح الياء، وعلى الثاني (ل و ه)- بفتح الواو، قلبت عينه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وأُتِي بـ "أل" وأدغمت اللام في اللام فصار "الله"» (ابن حمدون، ٢٠٠٨: ٨).

رَبِّ الْعَالَمِينَ

قيل أنّ «الربّ في اللُّغة بمعنى السيِّد والمالك وشُدِّدت الباء لأنهما باءان من "ر ب ب"، والربُّ اسم مشترك يقال: ربُّ الدار، ولا يقال الربُّ بالألف واللام إلّا لله تعالى» (ابن خالويه، لاتا: ٢١). وقال ابن حمدون: «"العالمِين" اسم جمع وليس جمعاً - بفتح اللام، لأن لفظ العالمين خاص بالعقلاء، وعالم اسم لكل ما سوى الله تعالى فهو عام في العقلاء وغيرهم وهو ملحق بجمع المذكر السالم» (ابن حمدون، ٢٠٠٨: ١٠). «إنّ "الرّحْمَنِ" و"الرّحِيمِ" صفتان مشبهتان من "رحُم" بالضم- بعد نقله من "رحِم" المكسور؛ لأنّ "رحِم" متعد، وهي لا تصاغ إلّا من الفعل اللازم، وقُدِّم الرحمن لأنه على صيغة المثنى فكأن الصيغة كررت فيه مرتين، وأنه صار كالعلم إذ لا يوصف به غيره تعالى، وقيل: "الرّحمن الرّحيم" من صيغ المبالغة فالرحمن على وزن "فَعلان" والرّحيم على وزن "فَعيل"؛ لذلك قيل إنّ "الرّحمن" أبلغ من "الرّحيم"» (الأندلسي، ٢٠٠١: ٦٣). وقال أبوحيّان: «فَعلان مِن

الرحمة وأصل بنائه من اللازم من المبالغة، وشذّ من المتعدّي، وهو وصف لم يستعمل في غير الله، ووصف غير الله به من تعنت الملحدين، و"الرّحيم" فَعيلٌ محوّلٌ من فاعل للمبالغة» (الأندلسي، ١٩٩٢م: ٢٨).

وفي مجال النّقاط النّحوية في "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" يجب القول أنّ «جمع يوم: أيّام والأصل: أيْوام، قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، "الدِّينِ" الحساب والجزاء، فإن سأل سائلٌ فقال: الله تبارك وتعالى ملكُ الدنيا والآخرة فلِمَ قال: "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ"؟ فالجواب في ذلك إن الدنيا ملّكها الله أ قواماً فنُسب الملكُ إليهم، فلماً كانت الدنيا يَملِكُها غيرُه بالنّسبة لا على الحقيقة، والآخرة لا يَملِكُها إلاّ الله تبارك وتعالى، ولا مالك في ذلك اليوم غيرُه فخُصّ لذلك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (زمخشري، ٢٠٠١: ١١٨). إنّ «العبادة هي أقصى الخضوع والتذلل، ولذلك لم تستعمل إلاّ في الخضوع لله، والاستعانة: طلب العون، والطلب أحد معاني صيغة استفعل، وأصل "نَسْتَعِينُ" نسْتَعْوِن بوزن نَسْتَفْعِل، استثقلت الكسرة على الواو فنقلب إلى العين، إعلال بالنقل- ثم قلبت ياءً، لسكونها وانكسار ماقبلها. ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ السّراط بالسين هو الأصل، لأنه من سَرَط الشيءَ إذا بَلَعَه، وسُمّيَ الطريقُ سَراطاً لجريان الناس فيه، والصِّراط من قلب السين صاداً لأجل الطاء بقوله "مصيطر" في "مسيطر"، وأصل المستقيم: مُسْتَقْوِم، نقلت كسرة الواو إلى الساكن قبلها، ثم قلبت ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها ومُستفعل هنا بمعنى: فعيل أي السِّراط القويم، ويجوز أن يكون بمعنى القائم، أي: الثابت (نفس المصدر: ١٢١).

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؛ «قيل المقصود بالمغضوب عليهم والضالين عام في كل من غُضِب عليه وضلّ، وقيل المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى، وتقدم اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصارى، ولأنّهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة و "الْمَغْضُوبِ" اسم مفعول من الفعل غَضِب باب فَرِح، ووزنُه مفعول. و"الضّالّين" جمعُ الضال اسم فاعل من ضَلَّ يَضِلُّ باب ضَرَبَ وزنه فاعل، وأدغمَت عينُ الكلمة في لامه لأنهما الحرف ذاته» (الأندلسي، ١٩٩٢: ٥٣). وذُكِرَ أيضاً «أنّ "لا" من الحروف الزوائد كتتمّة الكلام والمعنى إلغاؤها، أي: والضالين. و"عَلَيْهِمُ" و "عَلَيْهِم" وهما لغتان لكل لغة مذهب في العربية و"غير" مفرد مذكر دائماً ويلزم الإضافة لفظاً أو معنى، وإدخال "ال"

عليه خطأ، وهو لا يتعرف إذا أضيف إلى معرفة، وإذا أريد به المؤنث جاز تذكير الفعل حملاً على اللفظ وتأنيثه حملاً على المعنى» (الثّعالبي، ١٩٩٨: ٦٩٦).

النتيجة:

بادرنا في هذه المقالة بدراسة سورة الحمد من منظور الجماليات وكذلك تطرّقنا إلى بعض النقاط النّحوية الموجودة في طيّات هذه السّورة المباركة ووصلنا إلى أنّ الألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة لها دلالات واسعة عميقة تلفت نظر المتأمل، وتدهش الدّارسين والقارئين. تشدّ سورة الفاتحة الانتباه إلى الجوانب الدّلالية والوجوه الجمالية والمعاني البديعة التي اشتملت عليها السورة لكثرتها مع قصرها.

من أهمّ الجماليات في هذه السّورة يمكن الإشارة إلى معنى الصراط والحمد والرّحمن والرّحيم والغضب وما في كلّ من هذه الكلمات من المعاني الخاصّة ودلالات مغايرة عمّا يوجد في مرادفها. وكذلك استنتجنا أنّ كلّ كلمةٍ جاءت في هذه السّورة قد وضعت في أحسن موضع وأليق مكانٍ؛ إذ تدلّ على معنى دقيقٍ وملائم مع ما قصده الله تعالى في هذا المجال.

ومن أهمّ النقاط النّحوية في هذه السّورة المباركة يمكننا الإشارة إلى المتعلّق المحذوف لـ «بسم الله الرّحمن الرّحيم» وكذلك إلى معنى المبالغة في بنية «الرّحمن» وما فيها من الشّدّة وذلك بعد قياسها مع «الرّحيم».

في نهاية الأمر يجب الإشارة إلى أنّ هذه الجماليات وهذه النقاط النّحوية الموجودة في سورة الحمد أدّت إلى انتقال المفاهيم بصورة واضحة تماماً.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١. ابن القيم، بدائع التفسير الجامع، جمعه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ١٤٢٧م.

٢. ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: على النجدي الناصف وزملائه، إستانبول: دار سزكين للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

٣. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق: دار القلم، ١٩٩٣م.

٤. ابن حمدون، الحاشية على شرح المكْودي، دار الفكر، ٢٠٠٨م.

٥. ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دمشق: منشورات دار الحكمة، دون تاريخ.

٦. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، دون تاريخ.

٧. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م.

٨. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد الرّزّاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٢م.

٩. ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م.

١٠. الأزهري، دبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون وزملائه، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون تاريخ.

١١. الأندلسي، ابن عطيّة، المحرر الوجيز (تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٢. الأندلسي، أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمّد، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٩٨م.

١٣. الأندلسي، أبو حيّان، البحر المحيط، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢م.

١٤. الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد على حمد الله، مراجعة: الدكتور سعيد الأفغاني، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥م.

١٥. الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني، تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السّلامي)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م.

١٦. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.

١٧. بن عمر، كمال، الجمالية أبعادها في الأدب واللغة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد حمّة لخضر بالوادي، العدد التاسع، جويلية ٢٠١٦م.

١٨. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

١٩. الثّعالبي النيشابوري، فقه اللغة وسر العربية، التّقديم والتّعليق: خالد فهمي، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطّبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٠. الجرجاني، عبد القاهر، حاشية الجرجاني على الكشف للزّمخشري (بهامش كتاب الكشاف)، بيروت: طبعة دار المعرفة، دون تاريخ.

٢١. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

٢٢. الزمخشري، الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٣. السامرائي، فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

٢٤. السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

٢٥. السّخاوي، علم الدين، سفر السعادة، تحقيق: الدكتور محمد أحمد الدّالي، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

٢٦. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، دون تاريخ.

٢٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، حاشية الصاوي، بيروت: دار الكتب، ١٩٩١م.

٢٨. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكة المكرّمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦.

٢٩. الشّوكاني، محمد بن على، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٩م.

٣٠. الصالحي، على الحمد، الضوء المنير على التفسير (مباحث تفسيرية من كتب الإمام ابن القيم)، السعودية: مؤسسة النور للطباعة والنشر، بالتعاون مع مكتبة السلام، الرياض، دون تاريخ.

٣١. الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف، دون تاريخ.

٣٢. العسكري، أبو الهلال، الفروق اللغوية، تحقيق: باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٣٣. الفرّاء، معاني القرآن، تحقيق، أحمد يوسف نجاتي، ومحمد على النجار، بيروت: دار السّرور، دون تاريخ.

٣٤.الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تعليق وحاشية: أبو الوفاء نصر الهوريني، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٦م.

٣٥. القرطبي، أبو بكر، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الريالة، ٢٠٠٦م.

٣٦.وسيم خان، محمّد، دلالة الألفاظ والتراكيب في سورة حمد (دراسة بيانية)، مجلّة الهند، المجلّد ٩، العددان ٣ - ٢، أبريل - سبتمبر ٢٠٢٠م.